

لقد كانت للعرب المسلمين محاولات عدة لفتح شمالي افريقيا ، وقد تم هذا الامر على عدة مراحل ، غير ان هذا المد او الزحف على هذه الجبهة بلغ ذروته في عهد الوليد بن عبد الملك ، وكانت الظروف المساعدة قد شجعت على اعطاء السياسة الخارجية اهتماماً خاصاً ، ومنها استقرار الوضع الداخلي الذي اوجد المناخ الملائم لتحقيق منجزات عسكرية على عدة جبهات في وقت واحد ، وكانت اهمها استكمال فتوح شمال افريقيا وفتح بلاد الاندلس وكان للقائد حسان بن النعمان دوراً كبيراً في تطهير منطقة المغرب والقضاء على ثورة البربر الثابتة ، ثم استبدال هذا القائد بأخوه وهو موسى بن نصير.

#### دور الإمام زين العابدين (ع)

أدى انفتاح المسلمين في عصر الإمام زين العابدين (ع) على ثقافات متنوعة للشعوب التي دخلت في الإسلام الى خطر كبير هو الذوبان في هذه الأعراق وانتقاد الأصالة الفكرية التي جاء بها الإسلام. هذا ومن جانب آخر عملت الحكومة الأموية من أجل إحكام سيطرتها على رقاب المسلمين على إمامة الوعي ومحاربة العلم وإنشاء مذاهب وتيارات عقائدية تؤدي الى الركود الفكري والعلمي. فكان لا بد للإمام (ع) من ان يقوم بحركة فكرية اجتهادية تفتح ذهنية المسلمين وفكرهم، لذلك انبرى الى تأسيس مدرسة علمية وإيجاد حركة فكرية بدأت بحلقات صغيرة للدرس في مسجد الرسول (ص) ثم أخذت تتوسع وتستقطب أنظار واهتمام المسلمين بما تبثه من صنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وأخلاق، وقد تخرج على يديه عدد كبير من فقهاء المسلمين الذين عُرفوا بالقرءاء الذين كانوا لا يفارقونه في حضر او سفر، حتى قال سعيد بن المسيب: (إن القرءاء كانوا لا يخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب).

ولقد قال الإمام (ع) في فضل العلم وثوابه وأهميته: ((لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المُهَج وخوض اللُجج)).

وقد تصدى الإمام لنشر حديث الرسول (ص) تحدياً لحظر السلطة ودعا الى العمل بالسنة الشريفة واهتم بتدريس القرآن وتفسيره وحفظه وإكرام حَمَلَيْهِ وأجاب على الشبهات التي كان يثيرها دُعاة الجبرية والمُجسمة والإرجاء والتشبيه.

ولقد أبرز دوره كإمام للمسلمين واعلن بكل وضوح عن إمامته من دون تقية وخفاء بأقوال ومواقف عدة منها قوله عليه السلام: ((نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين، نحن أمان أهل الأرض، كما أن النجوم امان لأهل السماء .....)).

ولقد حَرَجَتْ مدرسة الإمام السجاد عليه السلام كوكبة من العلماء الكبار منهم الفقهاء والمفسرون والمحدثون، إليهم يعود الفضل في دفع عجلة الإحياء العلمي في ذلك العصر المتردي، ومن أبرزهم على سبيل المثال:

١- الإمام الباقر (ع) واخوه زيد والحسين أبناء علي بن الحسين (ع).

٢- ابان بن تغلب.

٣- ثابت بن أبي صفية المعروف بأبي حمزة الثمالي.

٤- رشيد الهجري.

٥- يحيى بن أم طويل المطمعي.

٦- أبو خالد الكابلي.

٧- المنهال بن عمرو الأسدي.

٨- سعيد بن المسيب.

إنَّ انفراط أمر المسلمين جزاء استشهاد الإمام الحسين (ع) وتشتت قواهم كان من أعظم الأخطار التي واجهها الإمام زين العابدين (ع)، وهذا وحده كان بحاجة الى إعداد نفسي وعقائدي وإحياء الأمل في القلوب، وقد تمكن الإمام (ع) بعلمه الهادي من الإشراف على تكميل هذه الاستعادة وعلى هذا الإعداد والتمهيد بكل قوة وبحكمة وبسلامة وجد واجتهاد.

وقد تحدث الناس قاطبة بإعجاب شديد عن علمه وفقهه وعبادته، وقد احتل القلوب والأسماع. وكان السعيد من يحظى برؤيته والأسعد من يتشرف بمقابلته والاستماع لحديثه، وما موقف الشاعر الفرزدق يوم جاء هشام بن عبد الملك للحج ولم يستطع الوصول للحجر الأسود، وانفراج الناس للإمام زين العابدين (ع) خير دليل على ذلك، فقال في مطلع قصيدته الميمية:

والبيت يعرفه والجل والحرم

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

وقد بلغ الخليفة الوليد أنَّ كثيراً من حُجاج بيت الله الذين لم يكتروا لهشام بن عبد الملك لكنهم انفرجوا للإمام السجاد (ع) إكراماً هم من العراقيين الفارين من جور الحجاج بن يوسف الثقفي، فكتب لعامله على الحجاز خالد بن عبد الله القسري يأمره بإخراج حُجاج بيت الله من أهل العراق وحملهم الى الحجاج بن يوسف، وكان من بينهم التابعي الجليل (سعيد بن جبير) الذي كان يأتهم بالإمام علي بن الحسين (ع) ويثني عليه

الذي قتله الحجاج بن يوسف شرقتلة بالفصبة المتواترة عنه، وكان سعيد من قتله الحجاج ثم هلك، وكان ذلك في شعبان سنة (٩٥هـ) وهلك الحجاج بعده بستة أشهر، وقبل قتل (سعيد بن جبير) قتل الحجاج (كُميل بن زياد النخعي).

هالك الحجاج بن يوسف الثقفي

بلغ عدد من قتلهم الحجاج صبراً في غير حروبه مئة وعشرين ألفاً، وكان في حبسه عند وفاته خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، وكان حبسه لا يكتمهم من برد ولا حر، ويسقون الماء مشوباً بالرماد.  
وقال ابن الوردي: (قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفيقناهم).

استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام

كان من أكثر الحاقدين على الإمام (ع) هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، فكان لا بد من إنهاء حياة هذا الإمام العظيم بدس السم إليه لأنه كان يرى انه لا يتم له الملك والسلطان مع وجود الإمام زين العابدين (ع)، وروى الزهري عن الوليد أنه قال: (لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا). لذلك بعث سماً قاتلاً الى عامله على المدينة وأمره أن يدسه للإمام (ع). ونفذ عمله ذلك فاستشهد الإمام (ع) في الخامس والعشرين من محرم سنة (٩٥هـ) ودُفِنَ في بقيع الغردق مع عمه الحسن بن علي (ع) وهو ابن سبع وخمسين سنة، وتسلم الإمامة من بعده ولده محمد الباقر (ع).

وفاة الوليد بن عبد الملك

توفي الوليد لأربع عشرة ليلة خلت من جمادي الأولى سنة (٩٦هـ) وهو ابن خمسين سنة وولي عشر سنين تقريباً بدير مران وحُمل ودُفن بدمشق، وتولى بعده أخيه سليمان بن عبد الملك بعدما حاول الوليد عزله وتنصيب ولده عبد العزيز لكن المنية عاجلته، وأخذ عمر بن عبد العزيز البيعة لسليمان وهو في الرملة من فلسطين فعاد الى دمشق خليفة عليها.

المصدر: عبد القادر أفندي بدران، مختصر تاريخ دمشق.